قلـــعة الخزاعـــل
ـ دراسة آثارية ـ

م.م. علي كاظم عباس الشيخ
كلية الآداب / جامعة القادسية

الخلاصة :

تعد القلاع من العمارات المهمة والمنتشرة في الوطن العربي الغاية من إنشائها هي حماية المدينة والطرق الخارجية من اللصوص وقطاع الطرق وقد بنيت هذه القلاع ذات طابع عسكري المتصفة بالأسوار العالية المدعمة بالأبراج والبوابات الضخمة ذات الأواوين والتي تحتوي باباً ضخماً على شكل مزوّر (منعطف) يصعب الدخول إليه وكل هذه الصفات الدفاعية مستوحات في اغلبها من تحصينات الأخيضر المرجح تاريخه إلى القرن الثاني الهجري .

وفي العراق انتشرت هذه القلاع في الشمال والوسط والجنوب لا تزال بعض منها باقية لحد الآن والآخر قد هدم بسبب الإعمار الحديث أو الإهمال من قبل الناس لهذه القلاع.

وقلعة الخزاعل هي واحدة من هذه القلاع التي انشأت في منطقة الفرات الأوسط والتي تعد من القلاع المهمة الباقية رغم الإهمال وتهدم بعض جدرانها وعبث الناس بالوحدات البنائية ولم يعرف تاريخ بناء هذه القلعة لعدم وجود كتابة تدل على ذلك.

وهذه الدراسة هي دراسة ميدانية تشمل أبعاد وقياسات هذه القلعة ومن ثم دراسة الخصائص المعمارية التي تتفرد بها ، وتاريخها يكتنفه الغموض ومن خلال بعض العناصر المعمارية والزخرفية لهذه القلعة وبعض الإشارات في المصادر رجحنا أنها قد تعود إلى فترة أقدم من الحقبة العثمانية. وهذا الشك في تاريخ بناء القلعة جاء لكونها لم تدرس ميدانيا من قبل المختصين من قبل .

مقدمة :

كانت القلاع من أهم المرافق الحيوية في النشاط المعماري العراقي في العصر العثماني بالذات ، عندما أنشأت العديد من هذه القلاع في مناطق مهمة على ضفاف الأنهار أو عند حدود المدن لتحصينها والقلاع عادة تبنى كي يحتمي بها الأهالي عند الحروب أو أي خطر يداهم المدينة[١] والقلعة من السمات الأساسية للمدينة ويدل إقامتها على الطرق الخارجية حماية لتلك الطرق من اللصوص فتحط القوافل رحالها بالقرب منها[٢] وفي الفترة المتأخرة من حكم الولاة في العراق لم يهتموا بالقلعة لأن بعضهم أتخذ سرايا خارج القلعة. ومهمة القلعة أصبحت في تلك الفترة مقراً للجيش ومخزن للأسلحة[٣] أما في عهد المماليك (١١٩٥-١٢٤٦هـ /١٧٨٠-١٨٣١ م في العراق كان يمثل في أحد جوانبه فقدان السلطة الحاكمة لصفتها العسكرية والانتقال إلى المدينة العادية وبقيت هذه القلاع حتى بعد انتهاء حكم المماليك رمزاً لهيبة الجيش الإنكشاري العثماني[٤] وانتشرت مثل هذه القلاع في البلاد شمالاً وجنوباً وقد تعرض معظمها للتخريب والإهمال ونذكر بعض منها في الشمال ، قلعة دوكان وكويسنجق وقلعة حلبجة ، أما في الجنوب نذكر منها قلعة السماوة وقلعة صالح في ميسان وقلعة سكر .. وغيرها من القلاع[٥] وكانت عمارة هذه القلاع ذات طابع عسكري والتي تحيطها الأسوار العالية المدعمة بالأبراج والبوابات الضخمة ذات الأوادين الكبيرة والتي تحوي باباً كبيرةً تغلق في الليل وكل الصفات الدفاعية مستوحات من التحصينات العسكرية لحصن الأخيضر الواقع في بادية كربلاء الذي يرجح تاريخه إلى القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)[٦].

قلعة الخزاعل

الموقع الجغرافي :

تقع قلعة الخزاعل في القطعة / ٤ مقاطعة ٢٣ غماس ضمن الحدود الإدارية لمنطقة العصيّة ، حيث يمكن الوصول إليها عن طريق ناحية غماس المتفرع من طريق أبو صخير شامية وكذلك طريق غماس مشخاب[٧] أما مقدار المسافة فهي تقع إلى الشرق من مدينة غماس بمسافة ٦كم. وحوالي ٢٤كم جنوب الشامية ومسافة ٢٢كم شمال الشنافية[٨] وبحدود ٤٤كم عن الديوانية أما عن العاصمة بغداد فتبعد حوالي ٢٠٠كم جنوب غربيها أما إحداثيات منطقة القلعة فهي:

N 31 46' 6.62"
E 44 35' 0.43" [٩]

تاريخ المنطقة :

أن الدراسة الآثارية للقلعة تعتمد على ما تبقى من بناء شاخص لها ، ولابد أن نتعرف على تاريخ المنطقة المحيطة بالقلعة ومنطقة القلعة بالذات ، فمن خلال البحث في أقسام القلعة لم يتم العثور على نص تذكاري أو نقش مكتوب يدلنا على تاريخ بنائها ، ولا تذكر المصادر التاريخية إلا الشيء القليل الذي تناولته بعض المصادر هنا وهناك وحتى هذه المصادر لم تتطرق إلى أنشاء و تاريخ القلعة موضوعة الدراسة.

لو راجعنا تاريخ المنطقة لوجدناها منطقة ذات تاريخ قديم يرجع إلى العصور قبل الإسلام من خلال بعض الإشارات التي وردت في المصادر التاريخية ، فقد ذكر ياقوت الحموي ، أن المنطقة عبارة عن امتداد للمنطقة التي تقع فيها الأديرة القريبة من الحيرة والكوفة وقد أحصى ياقوت العديد من هذه الأديرة وبحدود الستة عشر ديراً نذكر منها (دير أبن براق ، دير ابن وضاح ، دير الجرعة ، دير الجماجم ، دير علقمة ، دير قرة) وغيرها[١٠] .

وان الأديرة كانت تحتوي على عدد من المدافن كان منها قبل الإسلام (دير هند الصغرى) والذي يعد مدفنا للمنذر وعائلته وكذلك دفن فيه عدد من الشخصيات الحيرية، ومن الأديرة ما أتخذ قصراً منها قصر (شمعون) الذي ينسب إلى شمعون بن جابر اللخمي (من مشاهير علماء النصارى) في القرن السادس الميلادي[١١] وأن كثيراً من العمائر تنطبق على هذه الحالة فكثير من الربط والخانات اتخذت مساجد أو مدارس أو بيوت وبالعكس[١٢] وكما نعلم أن بعض الأديرة أو المباني قبل الإسلام قد استغلت بعد الفتح الإسلامي بما يتناسب مع الدين الجديد ومتطلباته ، ولدينا الكثير من الأمثلة على ذلك نذكر منها الجامع الأموي بدمشق والذي يعتبر حلقة هامة تربط تقليد العمارة المسيحية بعمارة إسلامية جديدة[١٣] أما ما يخص هذه المنطقة فيذكر أن الخليفة الواثق بالله العباسي (٢٢٧-٢٣٢هـ) (٨٤٢-٨٤٧م) أمر بتشييد مسجد لم يبق قائماً منه على عهد أبن بطوطة أثر إلا منارته ويطلق عليه القايم الذي يقع في بر الكوفة ومن الممكن أن الخليفة الواثق بنى المسجد على موقع دير قديم ، وأن القايم لم يكن سوى بقايا كنيسة مسيحية أو برج مراقبة فارسي[١٤] ونشير إلى حالة لابد من ذكرها ألا وهي تهديم بعض المباني القديمة من قبل الأهالي واستغلال مواد البناء في مبنى آخر كما حصل في عصور مختلفة في العراق. حيث يذكر موسيل وقد وردت لدينا أشارة تذكر أن خرائب الثرثور (منطقة قديمة قريبة من الشنافية) كانت بعض أسسها مبنية بالحجر والجدران مبني بالآجر كبير الحجم كما هو موجود في المباني الباقية من العصر البابلي ، ويواصل الفلاحون نبشهم في الثرثور بائعين الحجارة والآجر في الشنافية..[١٥]

تسمية القلعة :

أطلق سكان الفرات الأوسط على القلعة بـ(الخزاعل) أي (قلعة الخزاعل) وتعد عشائر الخزاعل من العشائر العربية الكبيرة التي سكنت هذه المنطقة ، والخزاعل من القبائل اليمنية ينتهي نسبهم إلى دعبل بن سلمان بن صرد الخزاعي ويرى بعض الباحثين إن هذه القبيلة نزحت في خلافة عمر بن الخطاب (رض) من اليمن وسكنت أرض العراق وتنقلت في مناطق متعددة ، وبعدها سيطرت على

الأراضي الممتدة من بابل إلى حدود مدينة الدراجي[١٦] (جنوب السماوة بحدود ٥٠كم) وهم يقولون إننا من بقايا خزاعة العراق الذي كان سليمان بن صرد أمير التوابين القائمين بثأر الحسين بن علي (ع) الذي استشهد سنة ٦٥هـ وعبدالله بن بديل بن ورقاء الصحابي الشاعر الفصيح الذي حضر عزوات النبي (ص) وشهد صفين مع أمير المؤمنين (ع) وعمر بن الحمق الذي صحب رسول الله (ص) مدة وشهد مع علي (ع) جميع حروبه وسليمان بن كثير من نقباء بني العباس وأسحق بن ابراهيم ابن الحسين بن مصعب صاحب الشرطة ببغداد أيام الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق المتوفى ببغداد سنة ٢٢٥هـ وغيرهم من أعيان هذه القبيلة العربية التي يقول فيها رسول الله (ص) "لا نصرني الله إن لم أنصر خزاعة" وذلك عندما غدرت قريش برجل مسلم من أفراد هذه القبيلة[١٧] .

اما أصل هذه العشيرة من خزاعة القبيلة القحطانية المعروفة فحرفت وسميت خزاعل والخزاعل لهم عادات وتقاليد عربية خالصة من كرم وشجاعة وحماية الجار وإغاثة الملهوف وغير ذلك من الصفات الحميدة.

وكانت الخزاعل في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) في أيام شيخهم مهنا ابن علي يسيطرون على جميع الأراضي الواقعة على نهر الرماحية المجرى القديم للفرات وسكن رئيسهم الشيخ مهنا ابن علي في أرض اسمها دياحم ولا تزال آثار داره ماثلة تعرف بالنسبة إليه حتى اليوم[١٨]. وعندما سيطرت الحكومة العثمانية على العراق كانت الخزاعل لها سمعة كبيرة بين العشائر وجميع القبائل الساكنة ضمن أراضيهم تحت سيطرتهم ،وعندما ضغطت عليهم الدولة نزح قسم منهم إلى إيران تحت رئاسة (مهنا آل سلمان) أما البقية فقد كانت تحت رئاسة (عباس آل باشا آغا) وبعد وفاته أنتقلت إلى ولده حمد ثم ولده حمود ومن ثم توالت الرئاسة بعده أشخاص نذكر منهم ذرب آل مغامس وآخرون [١٩] ، وكانت فروعهم ترجع إلى:

١- آل شلال ٢- آل مغامس ٣- آلبو محمد ٤- آل شبل والعديد من التفرعات الأخرى [٢٠] .

يلاحظ القارئ للتاريخ الحديث ان معظم المراجع[٢١] ، تذكر أن الخزاعل كانت في عداء مستمر مع الدولة العثمانية إلا في بعض الأوقات وهذا العداء تطلب منهم أن يحتمون بها من الجيوش العثمانية وكان خير ذلك هي القلعة وفي اغلب المعارك أستغلت هذه القلعة لذلك الغرض.

وقد سميت القلعة موضوع بحثنا باسمهم هذا وأن كثيراً من المباني المحصنة التي أنشأت من قبل الأهالي في هذه المنطقة مثل (الطنب – السيبايات) وغيرها ذهب البعض لتسميتها قلاع هذا من جهة ومن جهة أخرى أن الأهالي في هذه المنطقة أطلقوا عدة تسميات للقلعة المعنية ومن هذه التسميات لهذه القلعة (قصر ذرب) . وذرب بن غماس هو أحد مشايخ الخزاعل الذي تحصن بهذه القلعة أثناء معاركه مع العثمانيين [٢٢] وقد أطلق عليها الفراتيون أيضاً (قلعة العصّية) والعصّية هي المنطقة التي تقع فيها القلعة[٢٣] ومن بين الأماكن المهمة التي تعود للخزاعل هي دكة الهيس ، والهيس أسم يطلق على أطلال دار مهنا بن علي شيخ الخزاعل ومهنا أول أمير لهم والدكة تقع في (دياحم) في أرض تقدر مساحتها عشرة دونمات وربما أن هذه التسمية جاءت من كلمة (دير- حم) أحمد الأديرة النصرانية التي تقع في هذه المنطقة وبعد ذلك حرفت الكلمة إلى (دياحم) ، وعلى مقربة من هذه الأطلال تقع القلعة[٢٤] وبنى حمد آل حمود سيباية (شبيهة القلعة) لمقاومة الجيوش التركية كان موقعها في نهاية نهر الرملة المندرس على مسافة حوالي ثلاثين كيلومتر غربي بلدة الحمزة الشرقي[٢٥] وأمر أحد مشايخ الخزاعل حمود آل حمد أن يبنى له طنب (قلعة) على الجانب الأيمن من الفرات موقعها الثكنة العسكرية القديمة في الديوانية ثم أسكن حولها جماعة من أهله بسبب الصراع الدائم بين عشيرته وعشائر عفك وجليحة والأقرع[٢٦].

نستخلص من هذا أن جميع المباني المحصنة التي استخدمت أو بنيت في هذه المنطقة أطلق عليها أسم قلعة كما بينا ذلك .

الوصف العماري للقلعة :

إن المعلومات التاريخية والآثارية عن قلعة الخزاعل نادرة جداً حتى ان مديرية الآثار العامة لم تفيدنا بشيء نعتمد عليه لدراستنا واتفت بتثبيت موقعها في قرية آل عسل في الإضبارة رقم ٢١٧[٢٧] .
وذكرنا أن الفترة الزمنية التي انشأت بها القلعة غامضة وإن الزائر لها سيشاهدها شامخة عن بعد – الشكل رقم (١)- يتبين من شكل القلعة أناه مربعة الشكل أبعادها (٥٠×٥٠)م كما في المخطط رقم (١) والقلعة تقع على مرتفع رملي كبير تحيطه حاليا المقالع الرملية وان المادة الرئيسية التي بنيت بها القلعة هي الآجر (الفرشي) المربع الذي يعرف بالآجر الجعفري أو العباسي مع مادة الجص وقد لاحظت أن الآجر كان على قياسيات مختلفة منها (٢٠×٢٠)سم و (٣٥×٣٥)سم و(٤٠×٤٠)سم وكان سمك أجر يتراوح بين (٤-٧)سم اما ارتفاع جدران القلعة فهي تختلف أيضاً بين جدار وآخر واعلى ارتفاع له بحدود (٤م) أما سمك جدار القلعة فهو (١١٠سم) وإذا ما قورنت بمباني أخرى فهي تشبه العديد من المباني المنتشرة في العراق وبالخصوص (خان عطشان) الذي يقع بين الأخيضر والكوفة في البادية والذي يعتبر من أقدم الخانات في العراق ويعود تاريخ إنشائه إلى العصر الإسلامي المبكر وكان بمثابة دار استراحة لوالي منطقة الأخيضر في رحلته بين الكوفة ومكان عمله وللخان مدخل واحد يقع في الجانب الشمالي[٢٨] (انظر شكل٢) .

وتعتبر الواجهة الأمامية أي الشمالية لقلعة الخزاعل من أجمل جدران القلعة والذي يضم المدخل الرئيسي والوحيد لها ولم يتاثر بالعوامل الطبية كغيره من الجدران وقد قام البنّاء بإبراز بعض قطع الآجر والتلاعب به بوضعيات أفقية وعمودية ومائلة فقد نتجت من ذلك زخرفة هندسية حصيرية ومعينية عملت على هذا الجدار فقط (انظر الشكل رقم ٣ والمخطط رقم٢) وقد نفذت هذه الزخرفة في كثير من العمائر من بينها مئذنة الكفل التي يعود تاريخها إلى الفترة الإيلخانية [٢٩] (انظر المخطط رقم٣). ويتقدم من الجدار الشمالي للقلعة غرفة تقع في وسط الجدار تقريباً. حيث تبرز عن مستوى الجدار بقياس (٤.٢٣م) وطول واجهتها أي الغرفة (٦.٢٢م) (أنظر الشكل رقم٤) والمدخل الرئيسي للقلعة يقع ضمن هذه الغرفة من الجهة الغربية وهو المدخل الوحيد للقلعة وقياس فتحة المدخل (١.٤٤م) يعلوه عقد دائري معمول برصف الأجر لكن أجزاء منه مهدمة (انظر الشكل رقم ٥) ويقود المدخل إلى الغرفة المذكورة أعلاه وهي مربعة الشكل تقريباً تحدها أربعة دعامات ضخمة في الأركان قياس كل دعامة (١.٢٠م) وطولها حوالي ٣م عليها حنايا صماء كبيرة في كل وجه من أوجه الغرفة وذات عقد مدبب قياس فتحة الحنية (٣م) (انظر الشكل رقم ٦) والحنايا الصماء الواحدة منها يقع فيها المدخل الرئيسي للقلعة والثانية منها تفتح على غرفة شبيهة بالغرفة الأولى وبنفس قياسها تقريباً ، وهذه الدعامات التي ذكرناها والتي ترتكز عليها العقود تم البناء عليها لتحويل الشكل المربع إلى دائري بواسطة حنايا ركنية فيها زخرفة آجرية تحوي أشكالاً معينية ثلاثة كبيرة في الوسط وفوقها على الجانبين اثنين أصغر منها (كما في الشكل رقم ٧) والمخطط رقم ٤) وهذه الظاهرة المعمارية منتشرة في كثير من العمائر لتحويل الشكل المربع إلى مثمن ومن ثم إلى دائري بواسطة الحنايا. والشكل الدائري يحمل قبة مرصوفة بالأجر بشكل نصف كروي تقريباً (أو مسطحة لكن للأسف سقط بعض أجزائها بفعل العوامل الطبيعية) (انظر الشكل رقم ٨ والمخطط رقم ٥) وهذه القبة تشبه قبة الأخيضر ذات التضليعات التي تعد أقدم مثال عراقي للقبات القائمة في العصور الإسلامية[٣٠] والغرفة الثانية فيها أيضاً حنايا كبيرة لكن فيها فتحات بقياس (٥٧×٨٠سم) على شكل عقد مدبب (استعملت كنوافذ) (شكل رقم ٩) ومعظم فتحات النوافذ أو أجزاء منها مهدمة والملاحظ في الغرفة الأولى لم توجد مثل هذه الفتحات وذلك لتحصين القلعة من الاعتداءات الخارجية أما في الغرفة الثانية فهي في داخل القلعة ويمكن السيطرة عليها. وهذه الفتحات ثلاثة: واحدة منها في الجدار الجنوبي والغربي أما الشرقي فقد سقط معظم أجزائه لكن آثاره باقية والجدار الشرقي يحوي على مدخل يتم من خلاله الدخول إلى ساحة القلعة ، وكما لاحظنا أن الداخل للقلعة من المدخل الرئيسي يتجه يميناً ومن ثم يستدير يساراً (كما مبين في المخطط رقم ٦) حتى يتسنى له الدخول للقلعة.

وعمل مدخل القلعة على نظام المداخل المزوّرة أي ظاهرة الباشورة (المدخل المنعطف أو المنحرف) وهي سمة دفاعية اعتمدت في أبواب الحصون والقلاع عند العرب منذ عصر ما قبل الاسلام ونجد أول أمثلة له في مدينة حضر العربية وأقدم نموذج لهذه المداخل ما أظهرته التنقيبات الأثرية في دار الإمارة بالكوفة. وكذلك حينما قام أبو جعفر المنصور في مدينته المدورة بغداد عام ١٤٦هـ (٧٦٣م) باستعمال هذه الظاهرة لتحصين المدينة وصعوبة الدخول إليها ويتم السيطرة على الداخل والخارج لها في السلم أو الحرب[٢٩].

وقد استعمل البّناء وخاصة في الحنايا الركنية القصب للربط أو لتقوية البناء ، وأن الغرفة الثانية فيها قبة تشبه القبة الأولى لكنها كاملة ولم يسقط منها شيء (انظر الشكل رقم ١٠) وبعد الدخول إلى ساحة القلعة نلاحظ أن الغرفة الثانية قد تقدمت عن مستوى الجدار إلى داخل القلعة بقياس (٤.٧٠م) وعلى جانبي الغرفة من داخل القلعة يوجد سلمّان على الجانبين يميناً ويساراً وتكون واجهة جدار الغرفة المطلة على ساحة القلعة بقياس (٦.٦٠م) (انظر الشكل رقم ١١) وان معظم أجزاء السلَمَين مهدمة.

ويقع بئر قريب من الواجهة المذكورة أعلاه أي في ساحة القلعة قطره حوالي (٣ أمتار) مشيد بالآجر ومرصوف رصفاً دائري وبوضعيات مختلفة منها العمودي والأفقي كما مبين من خلال صفوف البناء (المداميك) (انظر الشكل رقم ١٢). ومن الغريب أن ضخامة بناء القلعة لا تحتوي على أجزاء بناء داخل القلعة سوى الغرفتين الداخلية والخارجية المذكورتين سابقاً وجدران القلعة.

وتوجد آثار لبعض الأسس القريبة من الجدار الجنوبي ربما تكون مخازن أو سراديب كذلك وجود بعض الحفر داخل القلعة (انظر الشكل رقم ١٣) ربما تدل إلى استعمالات خاصة.

تقوم على الأركان الأربعة لسور القلعة أبراج اسطوانية مجوفة تشكل ثلاثة أرباع الدائرة لكل برج باب صغير من داخل القلعة (أنظر الشكل رقم ١٤) عرضها (٦٦سم) وطولها حوالي (٢.٥م) تؤدي إلى داخل البرج الدائري وتزين كل برج من الداخل حنايا صماء تعلوها عقود مدببة والحنية السابعة تكوّن فتحة الباب (انظر الشكل رقم ١٥) وعرض كل حنية فيها (١٦٠سم) وارتفاعها حوالي (٣م) تفصل بين هذه الحنايا دعامات ترتكز عليها العقود المدببة عرض كل دعامة منها ٦٠سم وقد تحول البناء فوق الحنايا والدعامات إلى شكل دائري عمل عليه قبة مسطحة لكن للأسف قد سقطت هذه القباب جميعاً وإن تصميم هذا البرج والحنايا والدعامات موزعة في كل ركن من أركان القلعة. وأن بعض حنايا الأبراج قد رممت كما مبين ذلك من خلال البناء ولربما في فترات متأخرة.

وعلى جانبي فتحة البرج يوجد سلمّان الأول منها على يمين الفتحة والآخر على يسارها وهذا الشكل ينطبق على الأركان الأربعة ويتكون السلم من سبعة درجات يؤدي إلى السطح العلوي وكما ذكرنا ان الأبراج مزينة ببعض الزخارف الآجرية التي غطت واجهة القلعة وخاصة الأبراج التي تقع في الواجه الشمالية فقط (انظر الشكل رقم ١٦).

إن محيط دائرة كل برج من الأبراج من الخارج بحدود (١٨.١١م) (انظر شكل رقم ١٧) ويستند جدار القلعة من الداخل بدعامات لكل جدار ثلاثة عشر دعامة (انظر الشكل رقم ١٨) ما عدا الجدار الشمالي تقع فيه عشر دعامات ، خمسة منها على يمين الغرفة الثانية والخمس الأخرى على يسارها. وقياس الدعامات متساوية ، عرض كل منها (٧١سم) وارتفاعها يتراوح بين (٣-٤م) وتبلغ المسافة المحصورة بين دعامة وأخرى (٢.٨٠م) .

وبسبب تداعي أعالي الجدران فلم يتم معرفة فيما إذا كانت هناك مزاغل للرمي أم لا ولابد أن تكون في مثل هذه القلعة ذات البناء الضخم مزاغل لحمايتها من أي اعتداء خارجي.

الاستنتاجات :

١- هناك آراء ذكرت أن القلعة ربما تعود للحقبة العثمانية ومن خلال دراسة التخطيط المعماري للقلعة ومقارنتها مع مخططات قلاع ومباني أخرى للحقبة نفسها أرجح أن هذه القلعة لا تعود لتلك الحقبة

وإنما يعود تاريخها أقدم من هذا بسبب إحاطة جدران القلعة بالعديد من المدافن التي تعود إلى عصور قديمة وربما يتوصل إليه من خلال دراسات آثارية لاحقة.

٢- تحتوي القلعة على العديد من العناصر المعمارية المهمة التي نفذها المعمار في كثير من العمائر إلا وهي العقد المدبب والحنايا الركنية والقباب المسطحة النصف كروية تقريباً في الغرفتين التي تقع في المدخل وفي الأبراج الأربعة والزخرفة الآجرية الهندسية والتي على أشكال معينية وحصيرية تزيّن الواجهة الرئيسية للقلعة أي الشمالية التي يقع فيها المدخل والجدران الأربعة للقلعة في حالة جيدة ما عدا الجدار الشرقي فجزء كبير منه مهدم (أنظر الشكل رقم ١٩).

٣- من الاستحكامات المهمة في القلعة هي مدخلها المزور (المنعطف) وهي من أهم المميزات المعمارية المهمة التي نفذها المعمار في القلعة إضافة إلى جدرانها السميكة وأبراجها المرتفعة والدعامات في الجدران كل هذه الميزات تضيف إلى تحصين القلعة.

٤- من خلال موقعها في مرتفع رملي وفي منطقة شبه صحراوية كانت تحيطها الأهوار المنعزلة ، ارجح ان انشائها لأغراض عسكرية قد تكون لحماية المناطق المجاورة لها ولا نستبعد أن بنائها تم من تهديم بعض المواقع القديمة ونقل مواد البناء لها وهذا ما يتضح لنا من خلال أنواع الفرشي الذي بنيت به القلعة والذي كان على قياسات مختلفة.

وأود أن أذكر أنها لم تقع على طريق الحج القديم والذي يكون مساره من كربلاء ومن ثم بحر النجف وإلى الرحبة ثم قائم الواثق (بالقرب من موقع القادسية التي شهدت المعركة المعروفة التي انتصر بها المسلمون على الفرس عام (١٦هـ)[٣٠] (تلاحظ الخارطة رقم ٣).

٥- تعتبر القلعة من القلاع المهمة في منطقة الفرات الأوسط وقد أطلق عليها الأهالي عدة تسميات لكن المسمى واحد ويذهب البعض إلى تسميتها بأسماء قلاع أخرى.

٦- لابد من دراسة مستفيضة لهذه القلعة مع التنقيب في أسسها والمنطقة المحيطة بها لاستظهار الكثير من المعلومات الغامضة التي لم نتوصل لها وقد شكلت الهيئة العامة للآثار والتراث فريقا آثاريا لصيانة القلعة كنا نأمل من هذا الفريق أن يصل إلى نتائج علمية تقودنا إلى الحقيقة لكن للأسف لم يتوصل الفريق إلى شيء معين وإنما تم من قبله صيانة الجدار الشمالي فقط الذي غير الكثير من معالمه الأثرية وخاصة الزخارف الجدارية المهمة والجميلة للقلعة ، وعلمت أخيراً أن مديرية الآثار قد شكلت فريق آثاري لصيانة القلعة عسى أن يتوصلوا إلى نتائج علمية تقود إلى الحقيقة.

٧- وفي الختام تبقى القلعة قائمة تحكي للأجيال العز العربي ورقي الفن المعماري الإسلامي المتمثل بها وتبقى غرة ناصعة في جبين الحضارة العراقية. ويعد هذا البحث للقلعة أول دراسة آثارية من قبل المختصين.

الهوامش

١- رؤوف،د.عبدالسلام: المدينة العراقية،حضارة العراق،ج١،بغداد،١٩٨٥، ص١٧٩.
٢- الدراجي ، سعدي: عمارة القلاع وتخطيطها في شمال العراق – رسالة ماجستير – غير منشورة قدمت إلى جامعة بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٢٠.
٣- القصيري ، د.اعتماد: قلاع بغداد ، مجلة سومر ، المجلد الخامس والأربعون ، ٨٧-١٩٨٨، ص٢٠١.
٤- رؤوف ، عبدالسلام: المصدر السابق ،ص١٨١.
٥- القصيري ، اعتماد: المصدر السابق ، ص٢٠١-٢٠٢.
٦- الجنابي، د.طارق جواد: العمارات العراقية ، حضارة العراق ، ج١، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٣٦١-٣٦٢.
٧- بطاقة تعريفية من مفتشية آثار الديوانية.
٨- ENCARTA(انكارته):موقع على الشبكة الدولية للإنترنت (انظر خريطة رقم١).
+ القيسي ، ربيع محمود: أطلس المواقع الأثرية في العراق ، بغداد ، ١٩٧٩ ص٩٤ (انظر الخريطة رقم٢).
+ Microsoft(مايكروسوفت): موقع خرائط على الإنترنت (انظر الخريطة رقم٣).
٩- GoogleEarth(كوكل إرث):موقع على الشبكة الدولية للإنترنت،(انظر خريطة رقم٤).

١٠- ياقوت الحموي ، الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبدالله الرومي البغدادي: المجلد الثاني ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٥٥ ، ص٤٣١-٥٤٢.
+ الشابشتي ، الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٦،ص٢٣٧.
+ الجنابي ، د.كاظم: تخطيط مدينة الكوفة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص٣٣-٣٤.
١١. الطريحي ، محمد سعيد: الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص١١٨.
١٢- الدراجي ، د.حميد محمد حسن: الربط والتكايا البغدادية في العهد العثماني ، ط١، بغداد ، ٢٠٠١ ، ص٢٠١.
١٣- بهنسي ، د.عفيف: الشام لمحات آثارية وفنية ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص١٣٢.
١٤- الواموسيل: رحلة وصفية إلى الفرات الأوسط،ترجمة د.صدقي حمدي والاستاذ عبدالمطلب عبدالرحمن داود،مطبوعات المجمع العلمي العراقي،بغداد،١٩٩٠، ص١٦٩.
١٥- الواموسيل: رحلة وصفية ، المصدر السابق ، ص٥٨٥.
١٦- العزاوي ، عباس: تاريخ العراق بين احتلالين ، شركة التجارة المطبوعة ج٧ ، بغداد ، ١٩٥٥ ، ص٩٣-١٢٠.
+ القهواني ، د.حسين محمد: الحياة الإجتماعية ، حضارة العراق ، ج١٠ ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص١١٧.
١٧- الساعدي،حمود:دراسات عن عشائر العراق،الخزاعل،نجف ، ١٩٧٤ ، ص٥-٦.
١٨- الساعدي ، المصدر السابق ، ص٦
١٩- العزاوي ، عباس: المصدر السابق ، ص٩٤.
+ الساعدي،حمود:دراسات عن عشائر العراق،الخزاعل،نجف ، ١٩٧٤ ، ص٨٦.
٢٠- التميمي ، محمد علي جعفر: قلب الفرات الأوسط ، ج٢ ، ط١ ، ١٩٥٠ ، ص٩٥.
٢١- هناك الكثير من المعارك قد دارت بين الخزاعل والدولة العثمانية وقد شارك معظم مشايخهم فيها ، ولم أتطرق إلى هذه المعارك لإطالة البحث ، وفي كل هذه المراجع لم يتم التطرق لهذه القلعة من حيث تاريخها وشكلها أو ما يتعلق بها .
للمزيد من المعلومات أنظر:
+ لونكريك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، نقله للعربية جعفر الخياط ، ط٦ ، ١٩٨٥ ، ص٢٠٩-٢٤٢.
+ البصري ، عثمان بن سند الوائلي ، مطالع السعود ، تاريخ العراق من سنة ١١٨٨-١٢٤٢هـ تحقيق د.عماد عبدالسلام وسهيله عبدالمجيد دار الحكمة ، موصل -١٩٩١.
+ العطية ، وداي: تاريخ الديوانية قديما وحديثاً ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٥٤ ، ص٤٢.
+ الساعدي ، حمود: بحوث عن العراق وعشائره ، النجف ، ١٩٩٠ ، ص١٧٥.
+ فارس ، عبدالجبار: عامان في الفرات الأوسط ، ط١ ، مطبعة الراعي ، النجف ، ١٩٣٢ ، ص١٢-٧٥-٨٢.
+ الكركوكلي ، شيخ رسول: دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء نقله عن التركية موسى كاظم نورس،مطبعة أمير/قم، ١٩٥٢م ، ص١٧٣-١٨٠-١٩٧.
٢٢. الساعدي ، الخزاعل: المصدر السابق ، ص٨٦.
٢٣. الساعدي : المصدر السابق ، ص٨٦.
٢٤. الساعدي: المصدر السابق ، ص٨.
٢٥. الساعدي ، حمود: بحوث عن العراق ، المصدر السابق ، ص١٢٢-١٢٣.
٢٦. العطية ، وادي: المصدر السابق ، ص١٠-١١.
٢٧. أهم المواقع الأثرية في العراق ، مديرية الآثار العامة بغداد ، ١٩٧٠ ، ص١١٨.
٢٨. سلمان ، د.عيسى وآخرون: العمارات العربية الإسلامية في العراق ، ج٢ ، قصور ومشاهد ، مطابع كويت تايمز ، ١٩٨٢ ، ص٣٩-٤٠.
وهناك خان يسمى خان (العطيشي) يعتقد تاريخ انشائه سنة (١٠٣٩هـ/١٧٩٣م) والذي يقع بين الطريق الذي يربط بين بغداد وكربلاء في مركز ناحية الحسينية يشبه القلعة من حيث التخطيط (انظر المخطط رقم٧)
٢٩. سلمان ، د.عيسى وآخرون: المصدر السابق ، ص٢١٦.
٣٠. الياور ، د.طلعت: العبارة العربية الإسلامية في مصر ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص١٧٠.
+ سلمان ، عيسى وآخرون: المصدر السابق ، ص٢٧.
٣١. العفاري ، داخل مجهول: مداخل الدور والقصور في العراق حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، رسالة غير منشورة ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص٢٤.
+ محمد ، د.غازي رجب: العمارة العربية في العصر الإسلامي في العراق ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص٨٨-٩٣.

+ بقاعين،د.حنا،معجم العمارة،الجزء الأول،منشورات المجمع العلمي،٢٠٠٣، ص١٣١.
٣٢. الواموسيل: المصدر السابق ، الملحق ، ص٥٨-٥٨٩.
٣٣. محمد علي ، برهان نزر: عمارة وتخطيط الخانات العراقية القائمة على طرق المزارات ، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد ، ١٩٧٦م ، (شكل رقم١٠)

Abstract

Al-Khiza'il castle
- Archaeological study -

Castle are considered of the important Islamic architectures spread all over Arab countries . The aim behind construching them is to save the town and the high ways from the thieves and brigands. Such castle show military system , their high walls are supported by towers and large gates with arcudes which contain a great curved gate impossible to enter it. All there defending features were inspired by Al-Akheidhir fortifications dated back to the second century (A.H.)

In Iraq, such castles spread out in the north , middle and south , some of which are still upright whereas others were destroyed because of the modern reconstruction or neglect by the people living nearby.

Al-Khiza'il castle is one of the buildings which was built in the middle Euphrates i the important existed one during the time even though the neglect and falling down of some of their walls as well as abuse by people on the building units but still upright . No certain time of the construction of this castle , since there was no scripts referring to it.

The present study is a survey including the dimensions and measures of the parts of the castle then the study of the archaeological characteristics the castle uniquely has. The date of it is a point of argument among the specialists that is unknown up till now. However , by collecting some ornamental and archaeological elements of the castle in addition to some different references , the age of its construction as right as possible is given . Such study is the first archaeological one done by the specialists

شكل رقم (١)

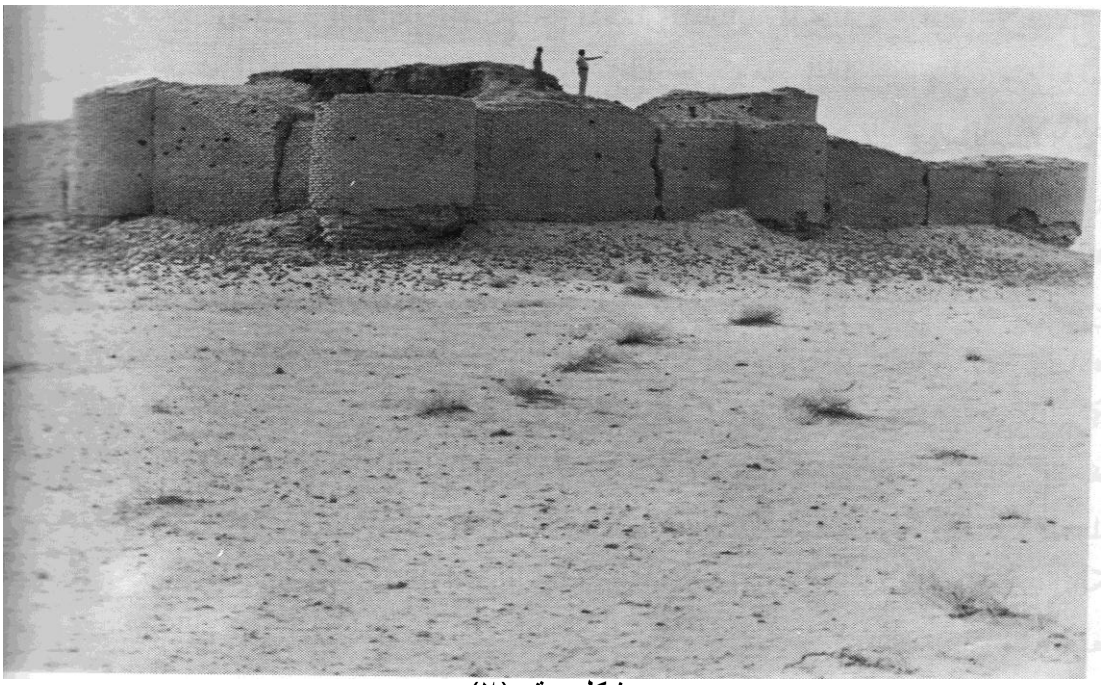

شكل رقم (٢)
عن / كتاب العمارات العربية الإسلامية
د.عيسى سلمان وآخرون

شكل رقم (٣)

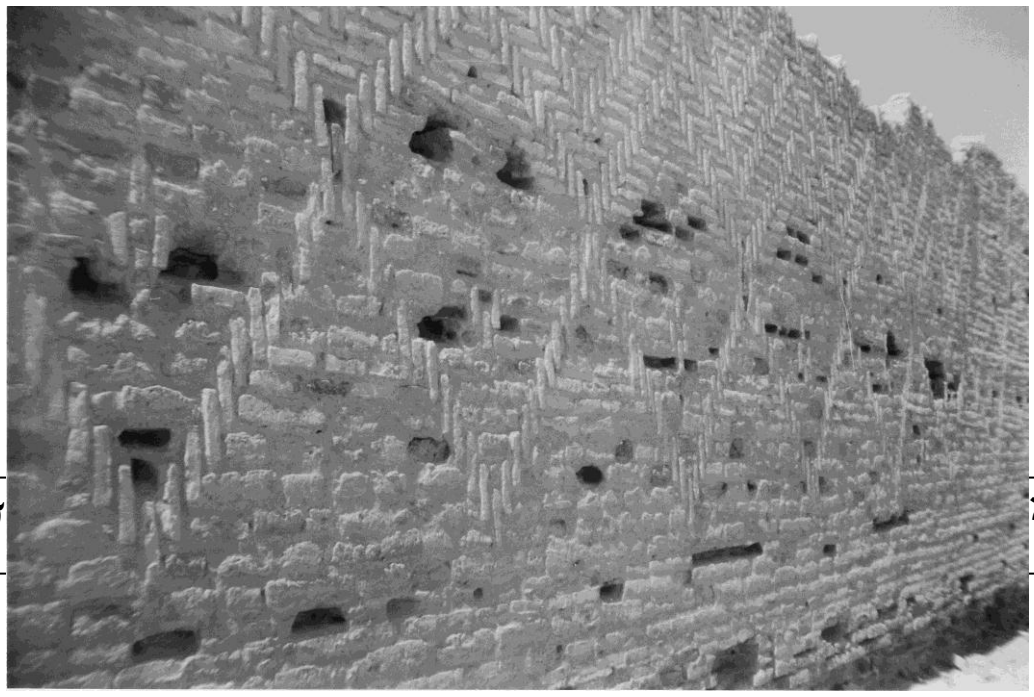

شكل رقم (٤)

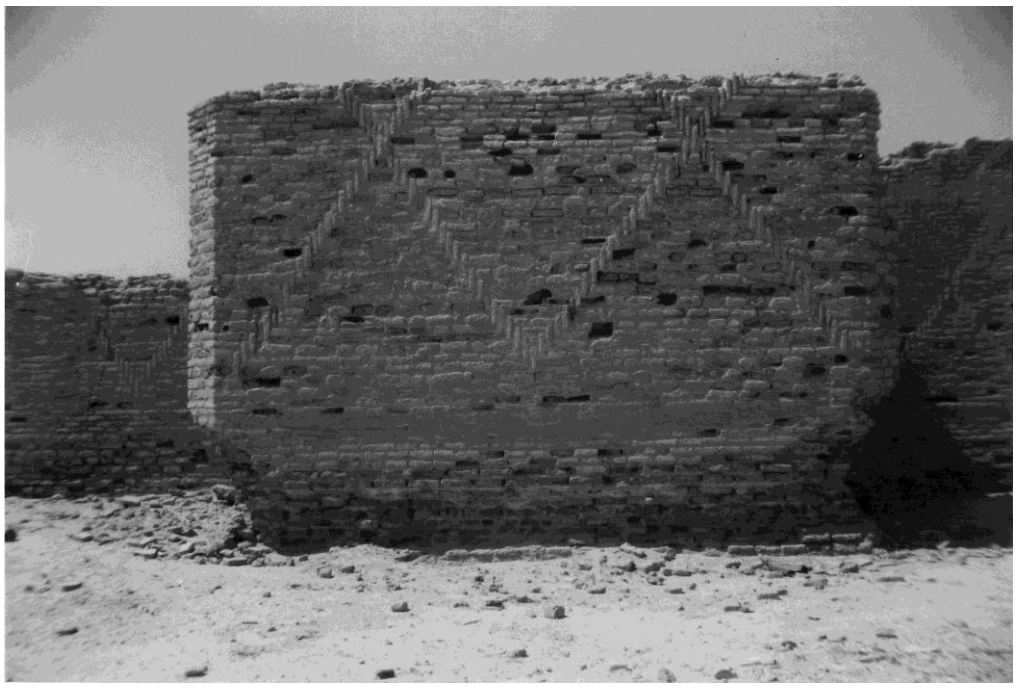

شكل رقم (٥)

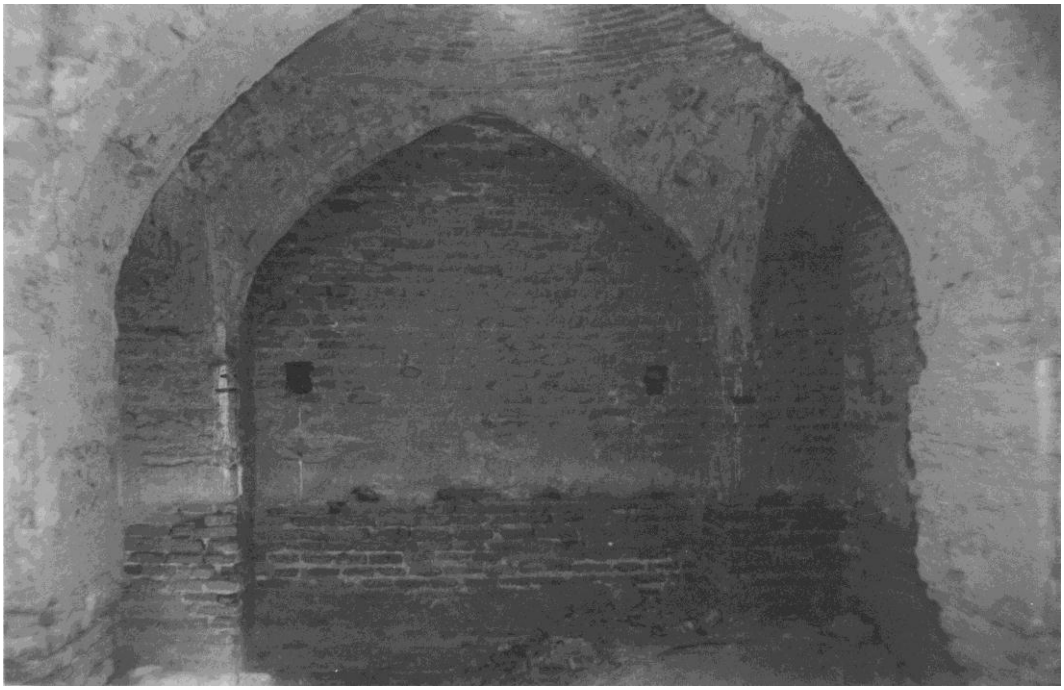

شكل رقم (٦)

شكل رقم (٧)

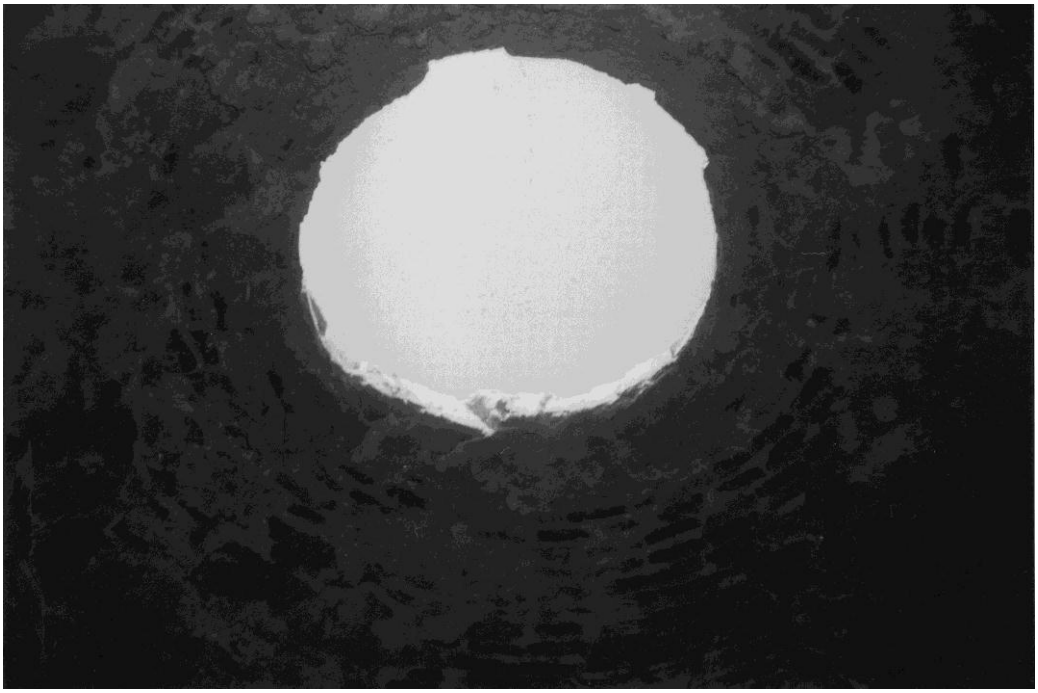

شكل رقم (٨)

شكل رقم (٩)

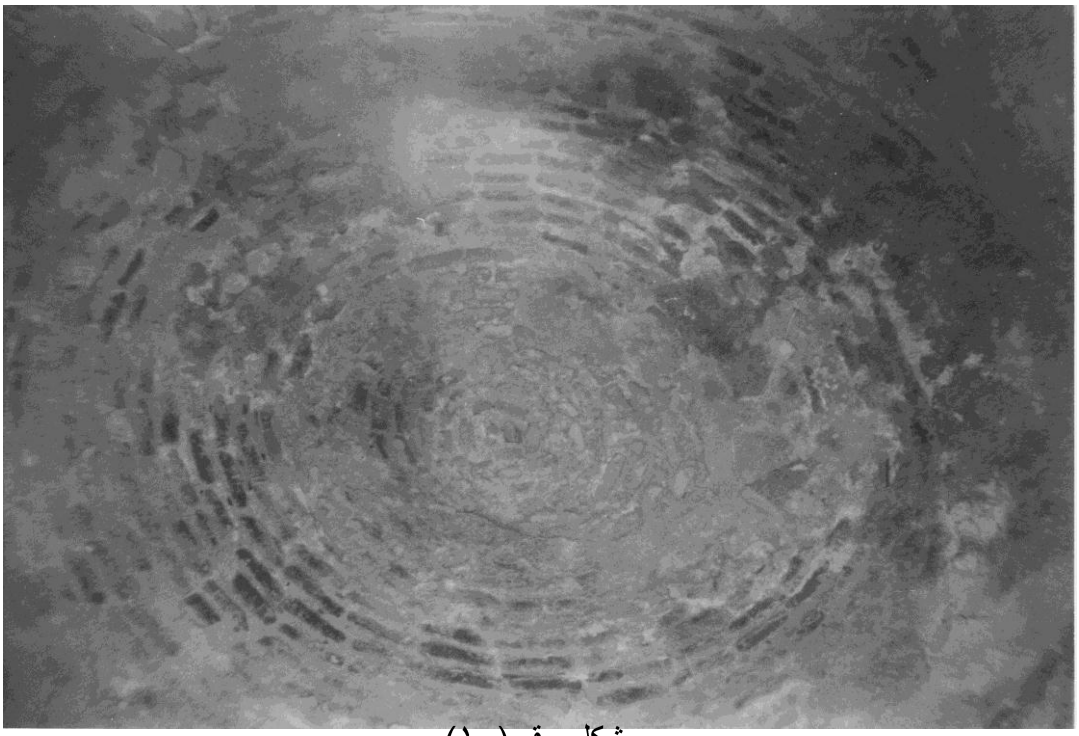

شكل رقم (١٠)

شكل رقم (١١)

شكل رقم (١٢)

شكل رقم (١٣)

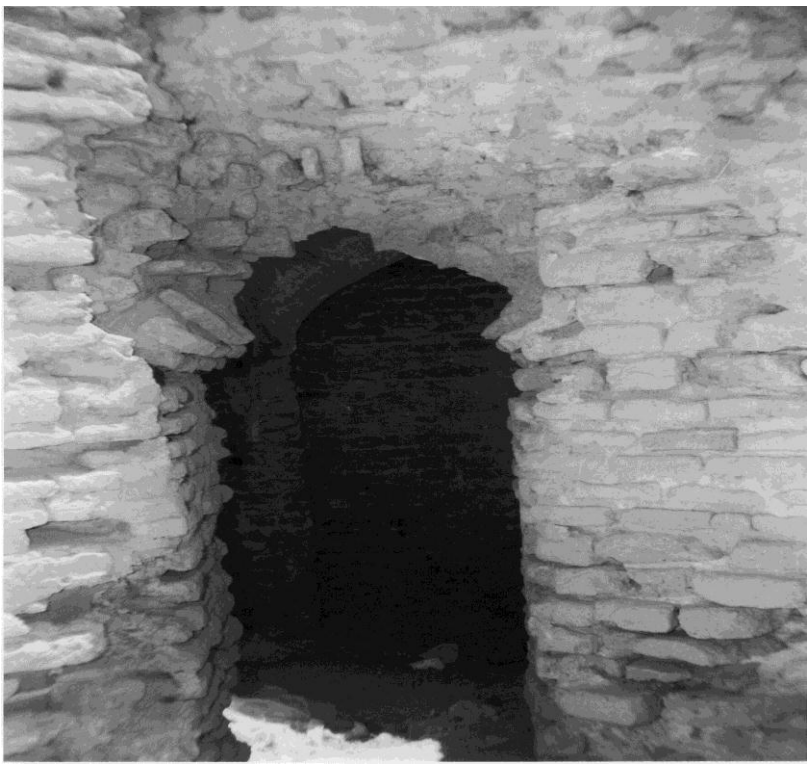

شكل رقم (١٤)

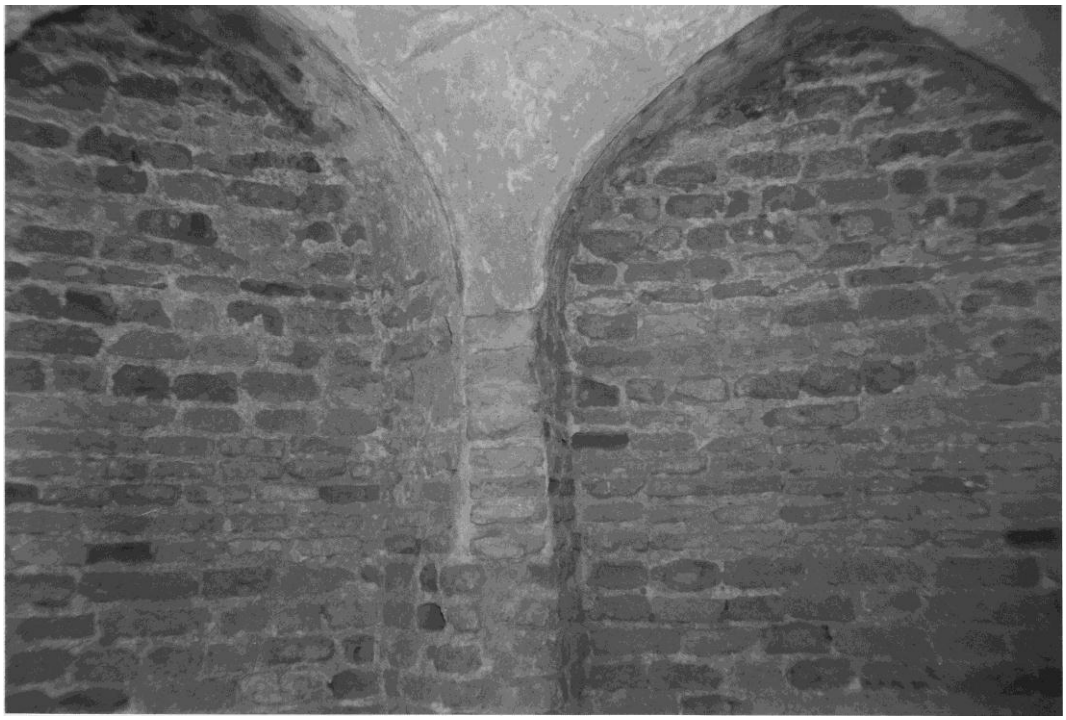

شكل رقم (١٥)

شكل رقم (١٦)

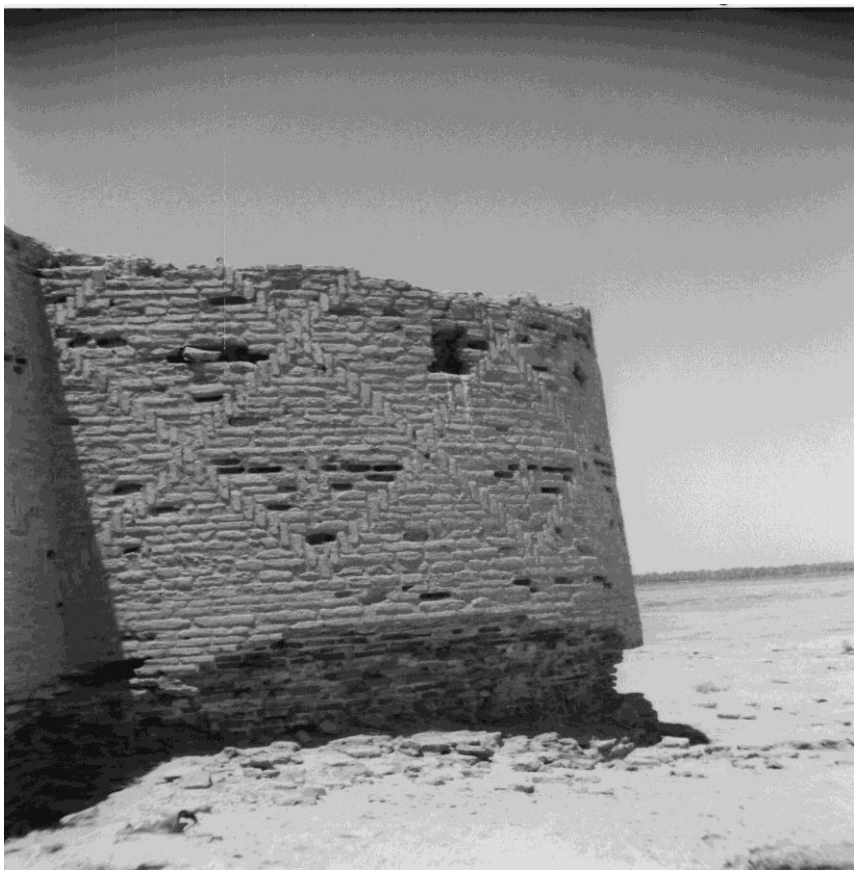

شكل رقم (١٧)

شكل رقم (١٨)

شكل رقم (١٩)

الباحث مع موظفي مفتشية آثار الديوانية في أحدى زياراته للموقع
بتاريخ ٢٠٠٦/٧/٦

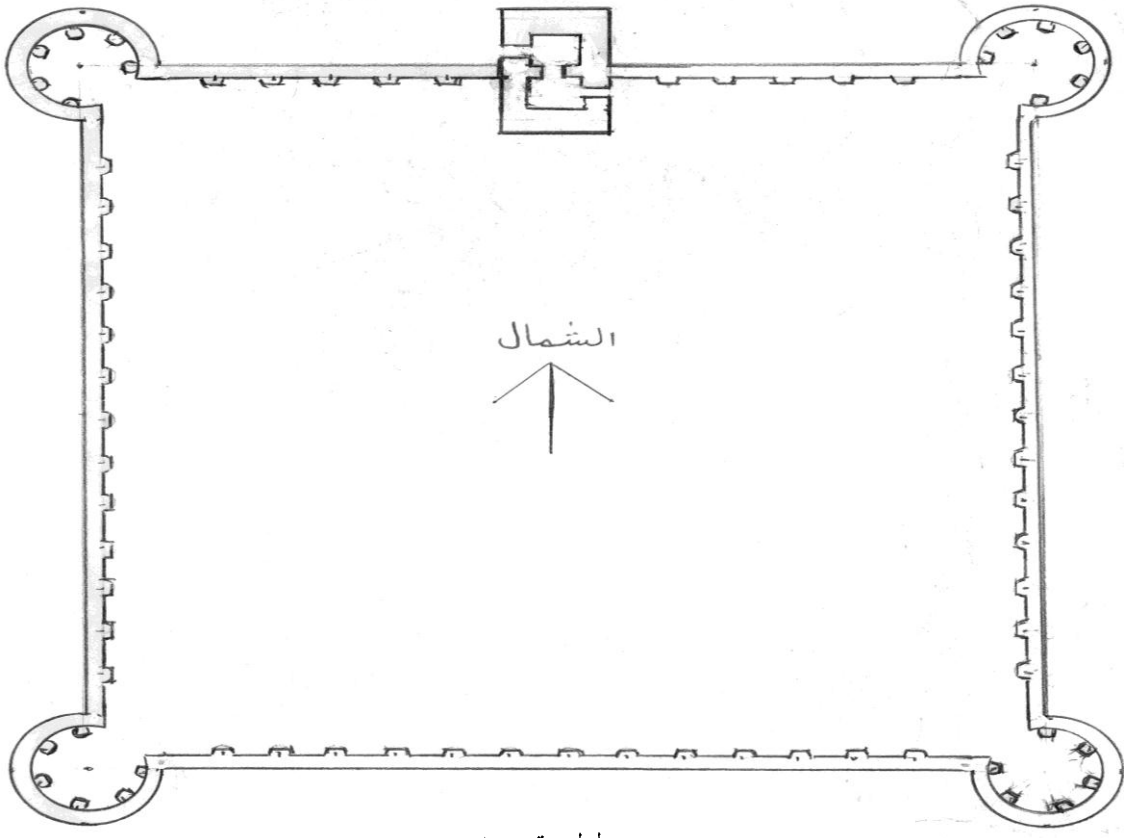

مخطط رقم (١)

مخطط أفقي يبين الأبعاد الخارجية للقلعة

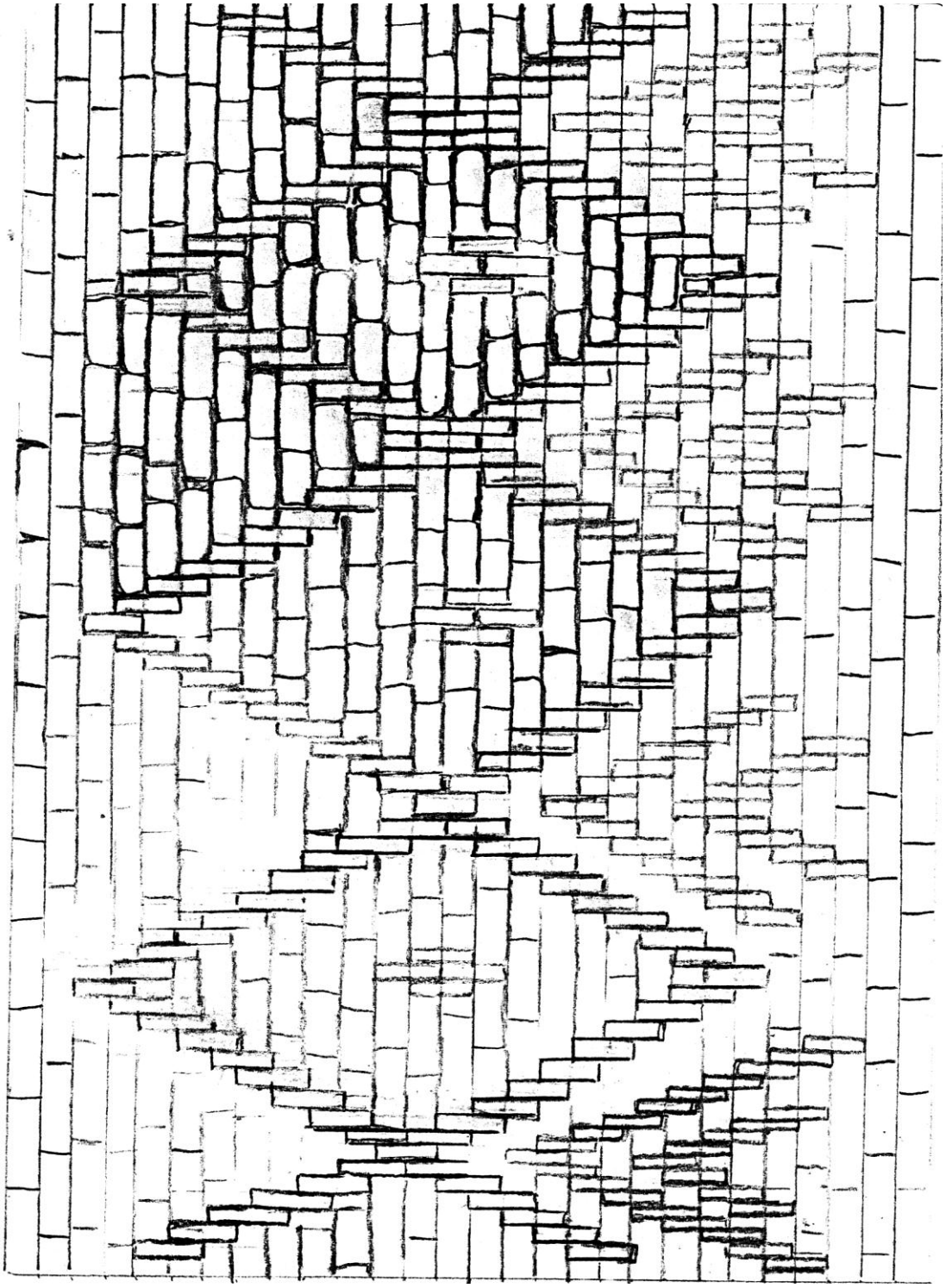

مخطط رقم (٢)

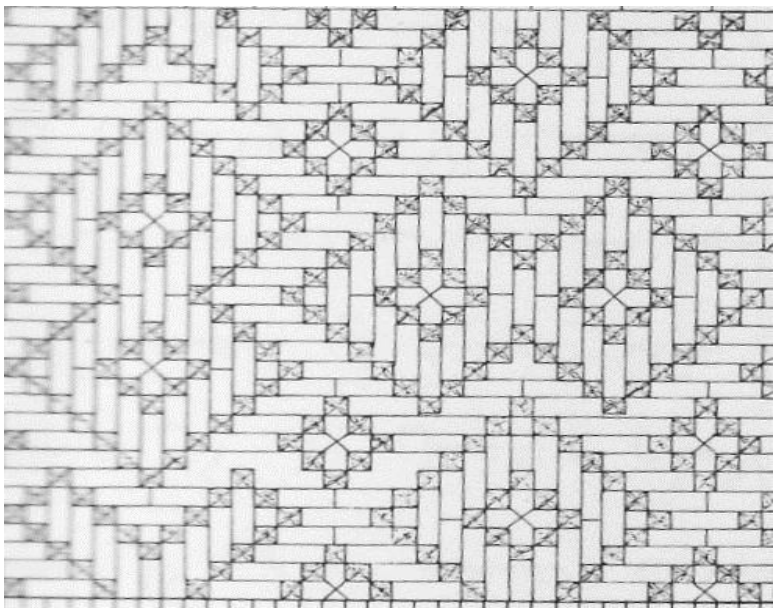

مخطط رقم (٣)
عن/كتاب العمارات العربية الإسلامية ، د.عيسى سلمان وآخرون ، ص٢١٩

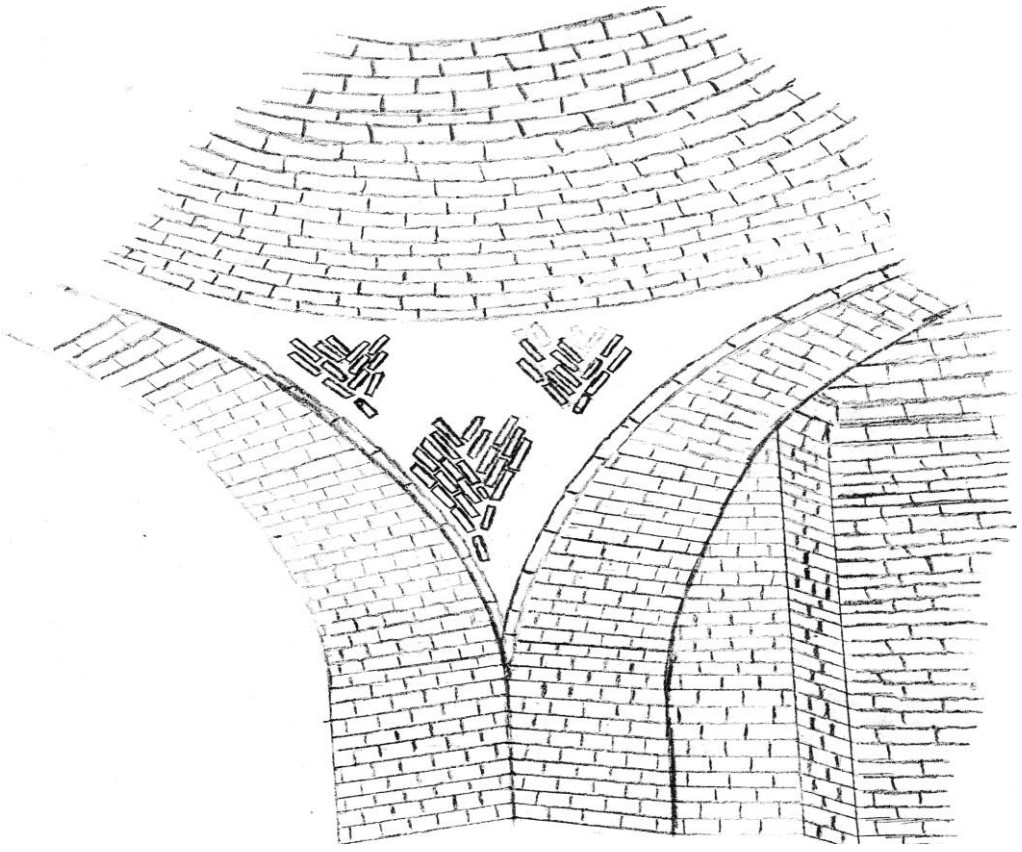

مخطط رقم (٤)

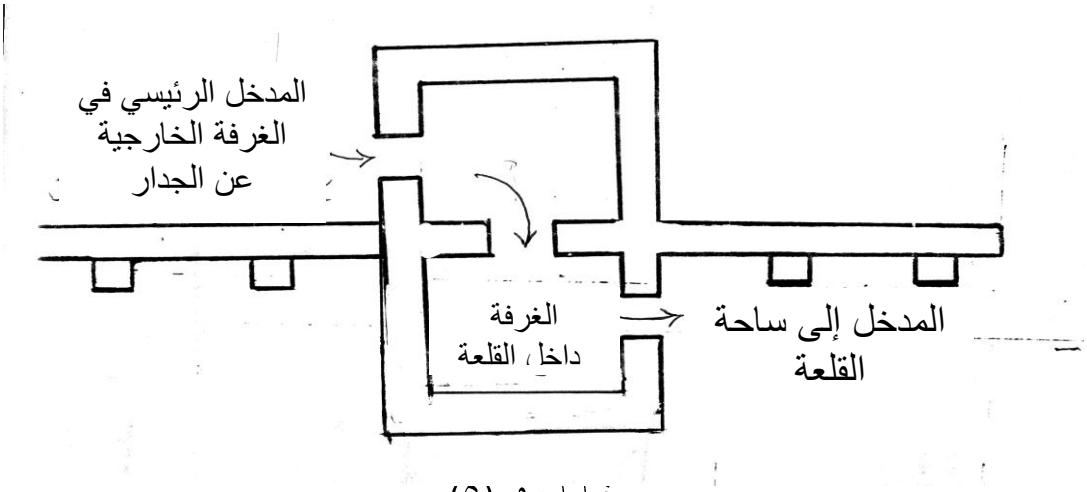

مخطط رقم (٥)
مخطط توضيحي للمدخل المنعطف في القلعة

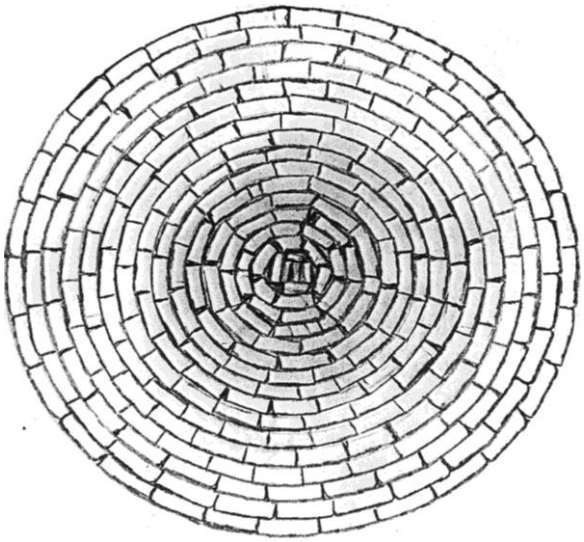

مخطط رقم (٦)

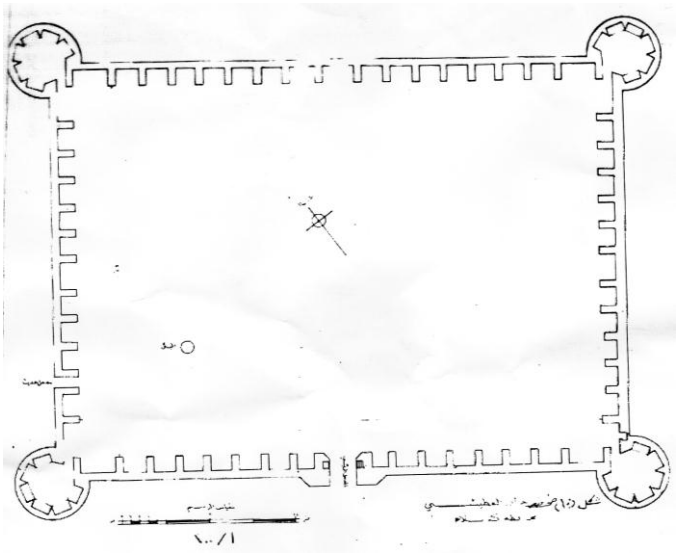

مخطط رقم (٧)
عن / عمارة وتخطيط الخانات العراقية القائمة على طرق المزارات ، برهان نزر محمد علي ، شكل رقم (١٠)

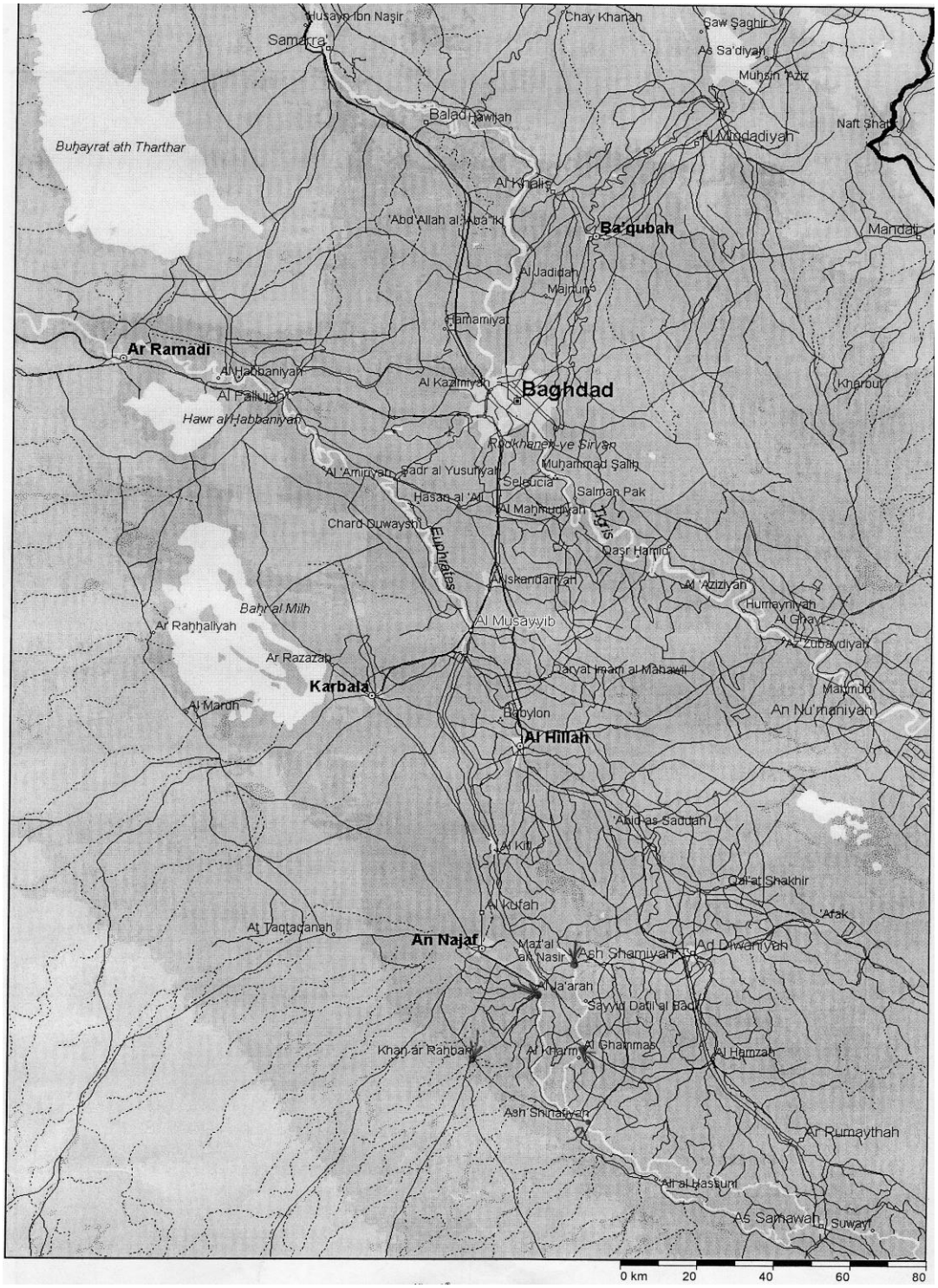
Samarra'
Chay Khanah
Saw Saghir
As Sa'diyah
Muhsin 'Aziz
Balad Hawjah
Naft Shah
Al Muqdadiyah
Buḥayrat ath Tharthar
Al Khalis
'Abd 'Allah al 'Aba'ikj
Ba'qubah
Mandali
Al Jadidah
Majrum
Hamamiyat
Ar Ramadi
Al Habbaniyah
Al Kazimiyah
Baghdad
Kharbut
Al Fallujah
Hawr al Habbaniyah
Rokhaneh-ye Sirvan
Muhammad Salih
Al 'Amiriyah
Sadr al Yusufiyah
Seleucia
Salman Pak
Hasan al 'Ali
Al Mahmudiyah
Tigris
Chard Duwaysh
Euphrates
Qasr Hamid
Iskandariyah
Al 'Azizlyah
Humayriyah
Bahr al Milh
Ar Rahhaliyah
Al Musayyib
Al Ghayr
Az Zubaydiyah
Ar Razazah
Karbala
Jaryat Imam al Mahawil
Maymuna
Al Mardh
Babylon
An Nu'maniyah
Al Hillah
'Abd as Saddah
Ar Kifl
Qal'at Shakhir
Al Kufah
'Afak
At Taqtaqanah
An Najaf
Mat'al an Nasir
Ash Shamiyah
Ad Diwaniyah
Al Ja'arah
Sayyid Dalil al Badi
Khan ar Rahbah
Al Kharim
Al Ghammas
Al Hamzah
Ash Shinafiyah
Ar Rumaythah
Ali al Hasiuni
As Samawah
Suwayr
0 km
20
40
60
80

خار

طة رقم(١)

خارطة رقم (٢)

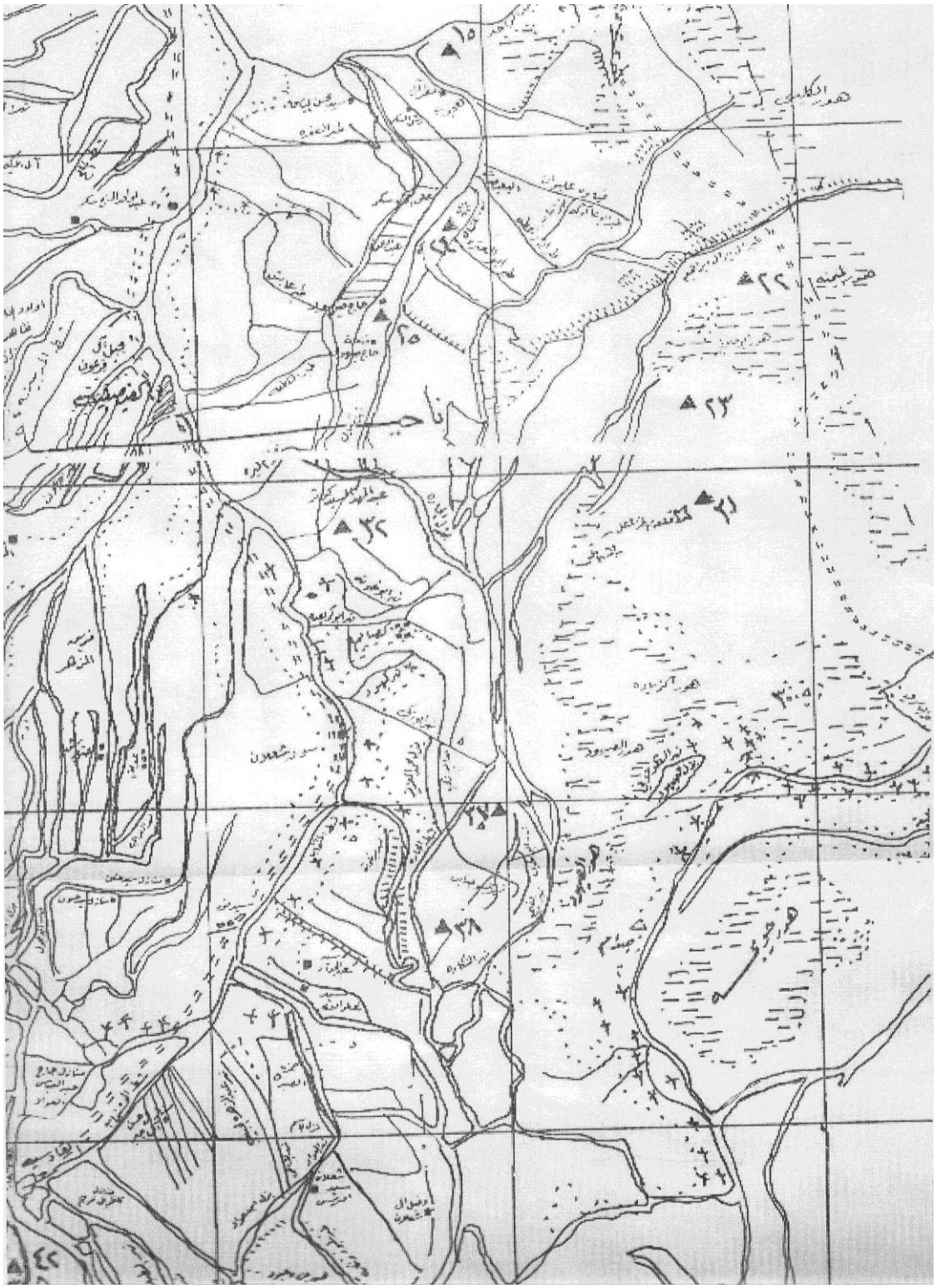

خارطة رقم (٣)

Microsoft
Virtual Earth
Sayyid 'Adhari
Sayyid Muhammad
Qal'at Muhammad al 'Abtan
Jawasim
Sayyid 'Abd Allah
'Abd Nur
Sayyid Salih
'Urqub al Qurnah
Mushir al Mazhar
Hajji Hasan
Sulayman az Zahir
Mazhar al Fir'awn
Fariq al Mazhar
Salman az Zahir
Alwan
Al Ghammas
Khan ar Rahbah
Manazil as Sayyid Hassun
Sadam
Ibrahim
Al Kharm
Sayyid Nur
'Umar Jari
A L Q
Salman al Habib
Sayyid Idris
Ziyyad
Tawqan
Manazil Jari
'Ali al Maz'al
Tuman
As Sayyid Yasir
Majla Al Hanin
Khazn al Hamud
Shaykh Natur
Maftul al Faraman
Sanim Khidr
'Abud Al Marij
Shaykh Hamzah
Qal'at Umm Asafir
Madlum al Husayn
Muhammad Abu Sumatiyah
Sultan Al Zahim
Qasr Shallal
Al Qadisiyah
Ash Shinafiyah
A N N A J A F
Euphrates
©2007 Microsoft Corp.

خارطة رقم (٤)

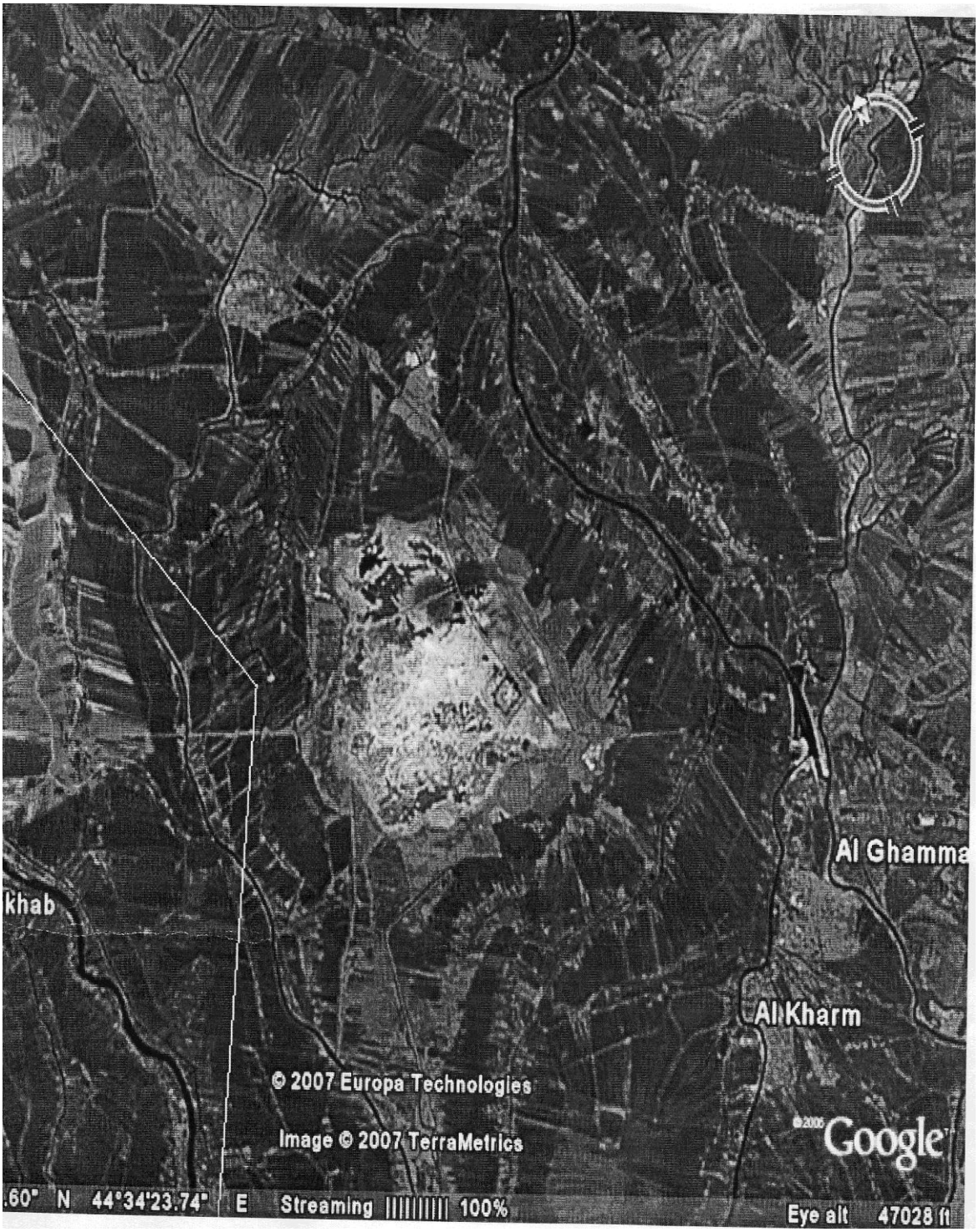
Al Ghamma
khab
Al Kharm
© 2007 Europa Technologies
Image © 2007 TerraMetrics
Google
.60° N 44°34'23.74" E Streaming 100%
Eye alt 47028 ft